جلايلية صبيحة

أثر الفكر النقدي العربي في الفكر الروماني القديم:لونجين أنموذجا

الفكر النقدي االدبي عند لونجين الحمصي ّ « انتباه ُ كثيرًا ما يلفت كتاب لونجين »في السمو َ شرع بالبحث الدارس العربي للنقد االدبي، وعندما ي والنظر في أفكار المؤلف، فإنه يواجه مشكلة فقر المصادر والمراجع عنه في المكتبة العربية، التي ليس فيها في أحسن االحـ ِ وال غير بضع ترجمات ٍ نقدية من االنكليزية في صفحات قليلة، والترجمات ً في االنكليزية منقولة عن اليونانية، المتوفرة أصال لذلك كان ال بد من االنتباه إلى المشكالت الفنية البسيطة التي تنشأ عن ترجمة هذا المصطلح أو ذاك. وبسبب طبيعة موضوع البحث وندرة المعطيات عن لونجين بالعربية،1 فقد لجأنا في الغالب إلى الكتابات االنكليزية، وما توفر من شذرات نقدية مترجمة من أجل إعداد هذا البحث .ٍ إن ترجمة عنوان الكتاب باليونانية تثير مشكالت ُ ترجم إلى ً ، فالمصطلح اليوناني hypsos ي عديدة االنكليزية حينًا Sublime the Onأي "في الجالل "ّ " وحينًا "عن الكتابة الجميلة" أو أو "في السمو "عن االسلوب الجميل".2 أما في العربية فقد ترجم العنوان إلى »عن االسلوب السامي الرفيع«3 أو »في ّ «6 . الجالل«4 أو »في االسلوب الرفيع«5 أو »في السمو ويقترب المصطلح اليوناني في معناه من »السمو أو العلو أو الرفعة أو الجالل«. وعليه، استخدمنا هنا َ ّ « للدالة على المفهوم الذي يدرسه الكتاب . «السمو وبالنسبة إلى المؤلف، فإنه يظهر بالعربية أحيانًا «لونجينوس« أو »لونجاينوس« أو »لونجين«. وجريًا على عادة القدماء في تعريب االسماء حسب االقيسة الصوتية العربية، استخدم »لونجين« مثل اسم ً من أفلوطينوس وأرسطو أفلوطين Plotinus بدال Aristotleوليس أرسطوطاليس .ُ نسب لونجين إلـى الـقرن االول أو الثالث ي الميالدي، وال نكاد نعرف شيئًا مؤكدًا عن مؤلف كتاب "في السمو" الذي كان معروفًا في القرن ا لعاشر،7 وهو زمن اكتشاف المخطوطة. وفي عصر النهضة وفي القرن الثامن عشر حتى بدايات القرن ُ رف أنه الفيلسوف والناقد الشهير التاسع عشر، ع الذي عمل في السنين االخيرة من حياته مستشارًا ً لزنوبيا ووزيـرًا في تدمر، ومن ثم فقد حياته فداء لتلك المملكة الناشئة التي دمرها االمبراطور أورليان بسبب تمرد ملكة تدمر على االمبراطورية الرومانية، وإعدام لونجين بسبب ما قيل عن تحريضه زنوبيا على الثورة ضد روما .ُثيرت عاصفة من وبعد القرن التاسع عشر أ الشك حول مؤلف الكتاب الحقيقي، عندما عثر باحث إيطالي على مخطوطة أخرى لكتاب »في السمو« في مكتبة الفاتيكان ظهر فيها اسم المؤلف أنه إما «دايونيسس أو لونجين«.8 وقد انشغل المترجمون والباحثون في االعمال الكالسيكية باالستقصاء حول هوية المؤلف االصلية؛ حيث انقسم هؤالء إلى جماعتين: االولى تدعي أن المؤلف شخص مجهول غير معروف عاش في القرن االول الميالدي، أما ُسبت الثانية فتقول إن المؤلف هو الشخص الذي ن إليه المخطوطة سابقًا، الذي عاش في القرن الثالث ُتل ُ رف عنه غزارة العلم واالطالع، وقد ق الميالدي وع في تدمر على يد االمبراطور أورليان. وال يزال النقاش جاريًا حول هوية المؤلف، حتى يتم العثور على ُ ثبت المؤلف الحقيقي . مخطوطة أو دليل تاريخي ي َ ّ لمخطوطة ومن المرجح أن المؤلف الحقيقي «في السمو« هو لونجين نفسه واالسباب مختلفة وكثيرة.9 وسـواء أكـان لونجين في النهاية هو ُ ّ المؤلف أم غيره، فإن ذلك ال يمس محتوى الكتاب وأهميته الذي ينتمي بطبيعته إلى النقد المقارن، ُ صنف ضمن ما يعرف اصطالحًا أو الذي يمكن أن ي بدراسات النظائر ضمن حقل الـدراسـات االدبية المقارنة التي تشير إلى العالقات المباشرة أو غير المباشرة بين االعمال االدبية بسبب وجود مواد قابلة للمقارنة في أعمال متوفرة.10 ويؤدي ذلك إلى إنتاج رؤية نقدية كافية ورفيعة من خالل دراسة تجليات فنية في الشكل أو المضمون في عملين مختلفين وربما في أزمنة مختلفة، ومن دون وجود عالقات مباشرة يمكن إثباتها .ويمكن هنا إبداء

مالحظتين أساسيتين؛ هما أن ّ « يطرح ميزات الخطابة أو الكتابة أو الشعر «في السمو العظيم استنادًا إلى الحكم على جزئية صغيرة، وقد تكون بيتًا شعريًا واحدًا فقط. أما المالحظة الثانية ّ النشوة أو المتعة والبهجة فهي أن لونجين يعد المرتبطة بسماع البيت الواحد االلســاس النقدي ِّ ، خالفًا لبقية النقاد اليونانيين لتقويم العمل االدبي والرومان الذين يتعاملون مع انفعاالت أخرى في محاكمتهم لألدب، االمر الذي يجعل لونجين بوصفه ِّ الشعر العربي في ناقدًا يونانيًا قريبًا من روح فن احتفائها باالنفعال المرتبط بالبيت المفرد .والحق، أن دراسة شخصية لونجين وعمله من منظور حمصي – تدمري أو عربي – شرقي يقتضي البحث في نوعين من القضايا والمسائل: النوع االول ُ نعم ُّ يدرس االرضية التاريخية للموضوع، وي خارجي النظر في السياق الحضاري لنهوض مملكة تدمر وبدايات نهضتها على يد العائلة الحاكمة التي ُ عنى بدأت بحيران، وانتهت بأذينة وزوجه زنوبيا. وي بدراسة لونجين وبداياته وحياته وكتاباته والروايات المتضاربة حول تأليفه كتاب »في السمو«، وإذا كان قد عاش في القرن االول الميالدي أم أنه الفيلسوف والناقد المعروف باسم لونجين، واحتماالت وجوده في بالد زنوبيا، ومساهماته الفكرية وعمله مستشارًا ووزيرًا مدة ال تقل عن عقد من الزمن، واحتمال وجود شعر عربي في بالط زنوبيا، واحتمال تعرضه لهذا ُ نشد من الشعراء والرواة، الشعر وسماعه له وهو ي وإلقاء الضوء على الروايات المتعارضة والمتناقضة عن أخبار زنوبيا عن المؤرخين الغربيين وأخبار الزباء عند بعض المؤرخين العرب وموتهما ونهاية ُّ مملكتهما.11 والنوع الثاني من القضايا داخلي يتعلق بنقد كتاب »في السمو« وتحليل محتواه َّ وعالقة ودراسة مكانته في مسيرة النقد االوربي المؤلف بالفكر النقدي السائد، الذي ينبثق من ُ نسب إليها لونجين االفالطونية المحدثة التي ي ٌ عـ ٌرب، والتي ساعدت والتي أسهم فيها فالسفة زنوبيا على إنشاء فرع لها في مملكة تدمر بتأثير واضح من لونجين، النهج الذي يؤدي إلى تبيين البدايات الشرقية في فكر لونجين، أو إشارات توحي بنفاذ روح الشرق وفكره في نتاجه، وإمكانية تأليف لونجين لكتابه في تدمر وليس في روما .ومن الواجب هنا اإلشارة إلى ضرورة االهتمام بكتاب »في السمو« من زاويتي دراســات التأثير والتناظر في االدب المقارن ومقابلته بأعمال النقد ِّ عبر تاريخها الطويل عبر التطرق إلى ِّ العربي االدبي ِّ موضوعاته ومسائله مثل »القدماء والمحدثون »أهم و »اللغة الشعرية« و«النقاد«، و«الشعر والدين»، ُّ «. ومن شأن هذه و«االدب والفلسفة«« و«الغلو المقابلة تبيان أوجه الشبه واالختالف بين قضايا كتاب لونجين والقضايا المطروحة في كتب النقاد العرب القدماء12 ٍ من طرف، وتأصيل دراسة جهود لونجين في سياق الشعر العربي من طـ ٍرف آخر .وسيحقق ذلك في النهاية نتيجتين مفيدتين، ُ غني الدراسة النقدية المقارنة ٌ ت االولى تنظيرية العربية في حال كون التشابهات فنية وتصادفية ٌ ترى إمكانية تأثر ٌ عملية محضة، والثانية نقدية ُ لقى في بالط لونجين بالشعر العربي الذي كان ي زنوبيا، وقام بتطبيق مبدأين من مبادئه على االدبين اليوناني والروماني، وهما شعرية البيت الواحد والنشوة أو المتعة النابعة منه، وثانيهما االحتفاء باالنفعال الذي يقوم على الحبور أو البهجة عوضًا ِّ الذي يستند أساسًا إلى عن االنفعال االرسطي استجابة المتلقي المتوقفة على استثارة عاطفتي الشفقة والخوف من خالل ارتباطهما بمبدأ التطهير .وفي الواقع، أن النظرية النقدية العربية، قد قامت على هذين المبدأين من حيث ارتباطهما بفن ً أو كثيرًا، حسب طبيعة اللحظة الشعر العربي، قليال االدبية والمؤثرات الفنية واالجتماعية، كما يحدث عادة لمعظم المفاهيم النقدية في آداب العالم .وربما من خالل اإلشارة لهذه الظاهرة نمهد الطريق ٍ ما أمـام باحثينا للولوج في أعمال هذه على نحو القضية والمسائل المتصلة بها لتبين أوجه التشابه واالختالف مع آداب العالم .ً هي ٍ وال بد من اإلشارة إلى مشكلة أكثر خطورة وجود باحثين ونقاد غربيين ال يتمتعون بالموضوعية الكافية عندما يحاولون اإلقالل من أهمية لونجين ونتاجه،13 أو النفي أن يكون هو المؤلف الحقيقي لكتاب »في السمو« عبر أبحاث غير مثمرة. وهذا ما قام به باحثان أمريكيان في السنوات االخيرة عبر دراسة تاريخية وجغرافية وفلسفية لمحتوى الكتاب بهدف محدد من البداية وهو أن

المؤلف ال يمكن أن يكون لونجين.14 وهذه المحاوالت مفهومة؛ حيث إنها تسعى عمدًا إلثبات أن مصدر أي إبداع فني أو فلسفي إنما هو أوربا، وال عالقة للشرق بأي إسهام .ً حضاري أوربي مهما كانت عالقته أو تأثيره ضئيال وال يمكننا أن ننكر وجـود باحثين غربيين يتصفون بالموضوعية والعقالنية فيما يخص هذا الموضوع مثل الباحث الكندي غـروب الـذي يعبر عن آرائه في مقدمة ترجمته للكتاب. فهو ال يرى مسوغًا لرفض االسم التاريخي باعتبار لونجين مؤلفًا للكتاب، ويرد بهدوء وروح علمية على الحجج المقدمة خالف ذلك، وينهي مناقشته بالقول إن كل ما نعرفه عن لونجين يثبت تأليفه للكتاب من حيث الشهرة أو اإلنتاج األلدبي، أو سعة االطالع أو الثقافة العامة أو التربية البالغية، ما لم تظهر نسخة أخرى تثبت العكس يظل المؤلف هو لونجين.15 كما يكتب الباحث والناقد االنكليزي المعروف ديفيد ديتشس في مقدمة أحد أهم كتبه النقدية« :أغفلنا في هذا الكتاب العديد من مشاهير النقاد :ً ، مع أن لكل هوراس وكونتليان وفيدا وبوالو مثال منهم مكانته المرموقة في تاريخ النقد. ولكن أحدًا منهم ال يمثل منهجًا خاصًا في تناول األلثر األلدبي ...وقد حاولت أن أتخذ األلمثلة على المناهج واألساليب ّ اب ... وكان ال بد لي أن أضم أفالطون النقدية من الكت وأرسطوطاليس ولونجينيوس نظرًا لألهمية الخاصة إلسهام كل منهم«.16 ٌ بين الباحثين والنقاد الغربيين ثمة إجماع أن لونجين)213 – 273م(هو وزيـر زنوبيا ملكة تدمر الذي ولد في حمص ودرس في االسكندرية، وكـان صديقًا حميمًا للفيلسوف »فورفوريوس » وأستاذه17 أيضًا وهو أحد تالمذة أفلوطين، مؤسس األلفالطونية المحدثة، وكان معلمًا للبالغة في أثينا، ً ؛ حيث انتقل إلى ً طويلة التي لم يقض فيها مدة تدمر للعمل في البالط مربيًا ومعلمًا ومستشارًا. غير ّ م حياته قربانًا لتدمر، بعد أنه يواجه قدره حين قد أن اتهم بأنه حرض ملكتها على الثورة ضد روما، ٍ على أوامر صريحة من االمبراطور ُعدم بناء وهكذا أ أورليان عام 273م. وقد اشتهر في عصره بأنه من أكثر النقاد علمًا وحصافة. ومن الغريب أن عددًا من النقاد الذين كتبوا عن هذا الموضوع يغفلون قصدًا حقيقة أن لونجين قد ولد حسب إحدى الروايات في تدمر وفي رواية أخرى في حمص.18 وفي الحقيقة ال يوجد أي تعارض بين هاتين الروايتين، فتدمر كانت مدينة كبيرة تمثل العاصمة آنذاك حسب مفهومنا، في حين أن حمص تمثل إحدى مدنها المشهورة. أما الرواية األلخرى عن ميالده فهي أنه ربما ولد في روما، وأن عمه فرونتو Phronto كان ّم لونجين البالغة ودربه خطيبًا مفوهًا وهناك عل عليها، وان لونجين التحق في السنوات األلخيرة من حياته ببالط زنوبيا ليسهم في بناء حياتها الثقافية ً والسياسية.19 وعلى أية حـال، يمكننا هنا أن نجري مقاربة لكتاب »في السمو« من الناحيتين الفنية والفكرية .حاول الفيلسوف أفلوطين)205 – 270م(أن يطور آراء الفيلسوف أفالطون ومفاهيمه. وقد سعى عبر فلسفته إلى البحث عن الوحدة من خالل فهم الظواهر المتنوعة، ومن الناحية الصوفية يمكن النظر إلى فلسفته على أنها محاولة صعود النفس من خالل ظواهر العالم المحسوس إلى المطلق .ويصبح العالم نوعًا من الفيض التدريجي للذات اإللهية التي تنبع من الواحد أو المطلق دون أن ينقص منها شيء.20 وقد حاول بعض الفالسفة من تالميذ أفلوطين أن يـطـوروا أفـكـار أفلاطـون بحيث تالقي أفكار أرسطو. وبحلول القرن الخامس تكونت مدرستان لألفالطونية المحدثة، إحداهما في االسكندرية وقد تنصرت فيما بعد، أما الثانية فكان مركزها في أثينا وقد أغلقت في العام 529م، ألنها كانت مركزًا وثنيًا. وال بد من اإلشارة إلى أن األلفالطونية المحدثة ً كانت تنافس المسيحية وتعرض نفسها ديانة ً منها. ومن أشهر أتباع أفلوطين الفيلسوف بديلة فورفريوس)232 – 304م(وأيامبلقوس)207؟330 - م؟(وكالهما من أصل عربي. أما فورفريوس فهو تلميذ لونجين، درس البالغة على يديه في أثينا ثم سافر إلى روما، وأصبح تلميذًا ألفلوطين. فإذا كان اثنان من دعاة األلفالطونية المحدثة من أصول عربية وأن فورفريوس)قبل أن يكتسب االسم اليوناني)ٍّ من لونجين وأفلوطين، فال بد أن كان مقربًا إلى كل ٍ ما إلى تجد األلفالطونية المحدثة طريقها على نحو تفكير لونجين.21 ُّ أفكار أفالطون عن الشعر والشعراء تنحصر أهم في محاورات »أيـون« وكتاب »الجمهورية«. ومن المعروف أن أفالطون

يعترض على الشعر ألنه ال ُ ّ ينطلق من معرفة بفن الشعر ألنه مس من الجنون، وعلى الرغم من أن هذا المس مصدره آاللهة، إال أن ذلك ال يغير من ألمر شيئًا، فقيمة الشعر تنبع من أن الشاعر يتكلم فيه عن أشياء ال يفقه عنها شيئًا .وعندما يفكر أفالطون في مدينته الفاضلة، فإنه ال يرى دورًا للشعر والشعراء فيها؛ حيث ال عالقة للمواطنة الصالحة بأي منهما.22 د.نجاح العطار 2012/ 1/9م - 14شوال1433هـ العدد »1309 »5 السنة السادسة والعشرون وتصل ألفالطونية المحدثة إلى االهتمام بمظهرين من مظاهر الشعر: ألول أن اإللهام الذي ينتقده أفالطون ويعده خروجًا على العقل وتسفيهًا له يرتبط بالروح وتجلياتها، والمظهر الثاني أن الشعر الحقيقي ليس ذلك النظم الخنوع الذي ِ ّ خ وجوده؛ بل هو ذلك يحتفي بالوضع الراهن ويرس َس »اإللهي« الذي ينقل الروح إلى آفاق بعيدة ف َ الن عن الواقع بسبب النشوة المرتبطة بالسمو. ويبدو أن هاتين الناحيتين تجذبان لونجين باتجاه الشعر وتثيران فضوله؛ هذا مع العلم أن كتاب »في السمو »ً إلى الخطيب، وليس إلى الناقد، أي إنه موجه أصال ّ لالستماع، وهدفه تعليم الخطيب فن الحديث ُ عد م الرفيع كي يتلذذ السامع بالجمل والعبارات واألفكار ٍ وينتقل إلى آفاق رحبة من الخيال، والهدف ليس اإلقناع بل النشوة المجردة .ومن الصعب أن يجد المرء تطابقًا أو تشابهًا بين مفردات أفلوطين الذي يهيم بقضايا ما وراء الطبيعة ولونجين الذي يتعامل مع البالغة. فالمعالجة عند ً مغايرًا بسبب ٌ ، واللغة تنحو منحى االثنين مختلفة َ ّ التشابه اختالف الموضوع والوسيلة والهدف، بيد أن ٌ . وكما يقول أفلوطين في مقالته بين ألفكار موجود «عن الجمال« إن »الجسم يكتسب الجمال عندما يشترك مع العقل الذي يأتي بما هو إلهي«؛23 يؤكد ّ اب هو من يسمو فوق البشر لونجين أن أعظم الكت باقترابه من الفكر اإللهي .ويمثل اإللهام عند أفالطون القوة الالمسؤولة وغير المنضبطة للروح، وذلك بسبب غياب هيمنة العقل عند الشاعر في أثناء اإللهام، ألن آاللهة «تتلبس« الشاعر في لحظات اإللهام تلك، وهذا التلبس أو االستحواذ ينتقل بدوره إلى راوية الشعر ومنه إلى الجمهور، فالكل يفقد عقله وينتقل إلى عالم النشوة الروحية والمتعة بعيدًا عن العالم اليومي المألوف. وتغدو هذه الفكرة عند لونجين محك ألدب الحقيقي واألصيل، ومعيار الجودة، قدرة العمل ألدبي على استثارة تلك النشوة الروحية عند السامع أو القارئ وليس االقتناع، فالنشوة انفعالية واالقتناع عقلي بحت. يؤكد لونجين أن السمو هو الذي يحدد حدود العظمة الحقيقية عندما يناقش :ُ ّ ز في التعبير، يكمن السمو في تفوق خاص وتمي وهذا وحده الذي منح الشعراء العظام والمؤرخين تفوقهم وأكسبهم شهرتهم الخالدة. وفيما يتعلق بتأثير اللغة النابضة بالحيوية، فإنه ال ينصب على إقناع السامعين بل إمتاعهم. ومن دون أي استثناء، ٌ هو أكثر تأثيرًا من َ شيء فإن ما يبعث فينا النشوة مجرد إقناعنا أو إمتاعنا. إن المدى الذي يمكن إقناعنا فيه بشيء ما يكون عادة تحت سيطرتنا، ولكن تلك المقطوعات السامية لها قوة ال تقاوم وسيطرة كبيرة، وتكون لها الغلبة عند كل سامع... وإذا أحسن توقيت المقطوعة السامية فإنها تجرف أمامها كل شيء كالصاعقة، وتكشف عن القوة الكاملة للمتكلم في ومضة واحدة.24 وعلى خالف الناقد هوراس الذي يسعى إلى الجدارة والتساوق في المقام ألول، وينتقد الفقرات َ ّ شيء أمامه مثل ٍ المنمقة بعنف، يؤكد لونجين »وميض السمو »ُ كل الدقيق التوقيت الذي ينير وميض البرق، فيكشف قدرة المتحدث التامة بصورة خاطفة. ويؤكد لونجين أن السمو ال يحدث مصادفة، إذ يمكن أن تكون موهبة العبقرية متأصلة، لكن ال ً عن طريق محاكاة أدباء ّ من صوغها وتدريبها، مثال بد الماضي السامين. ويقترب في هذه النقطة، بصورة مذهلة، من هوراس في فكرة أن الفن يستطيع أن َ القدرات الطبيعية دائمًا. وال يمكننا أن نتوقع ز ِ ّ يعز َ ّ مؤلف قادر أن يبلغ السمو بصورة متساوقة –َ ّ أي أن «حتى هوميروس ارتكب هفوات«، كما تبين العصور الالحقة – لكن تطبيق المهارات الضرورية يعين المؤلف. وينفصل هنا لونجين بآرائه عن هوراس نهائيًا، عندما يؤكد أن لمسات السمو العارضة أفضل من الجدارة المقيدة المجردة. ويجيب لونجين عن تحديد السمو :تعزز بعض الخصائص الفطرية للسمو الحقيقي الرفعة في نفوسنا: وعندما نسمو بإحساسنا بامتالك الفخر يغمرنا الفرح، وكأننا

نحن أنجزنا ما سمعناه ٌٌ حساس واسـع االطلاع بأنفسنا. وإذا سمع امـرؤ ً بضع مرات، ووجد أنها ال تؤثر في ً أدبية مقطوعة حاسة السمو لديه أو تغذي الفكرة في ذهنه أكثر مما توحي به الكلمات؛ ال بل إنه كلما قرأها بإمعان أكبر، وجدها أقل تأثيرًا، فال يمكن أن تكون حقًا ّ ما ً للسمو الحقيقي... وباإلمكان عمومًا أن نعد مثاال هو جميل وسام حقًا هو ما يمتع الناس كلهم في ألزمنة كلها.25 ّ :
ويؤكد لونجين وجود خمسة مصادر للسمو عظمة الفكر ورفعته وهي ألهـم، أي القدرة على استيعاب المفاهيم العظيمة، وهذا ممكن فقط إذا تمتع المؤلف بنبل الـروح حقًا. ويقتبس في هذا السياق من هوميروس، وبصورة الفتة جدًا من المقطع االستهاللي في سفر التكوين من الكتاب المقدس. ويستشهد أيضًا بقصيدة للشاعرة الغنائية اإلغريقية سافو)580 ق.م تقريبًا(؛ أما ة مة، المصدر الثاني فهو العاطفة المتقدة والمله ُ سهب ُ فرد بحثًا خاصًا بها، لذلك لم ي وقد وعد أن ي في الكتابة عنها – ولم تكتب الحياة لهذا البحث فعليًا؛ ثالثًا، يمكن إحراز السمو من خالل استخدام الصور البالغية المؤثرة والالمباشرة؛ رابعًا، يمكن إحراز السمو بوساطة »اللغة المرموقة« التي تشتمل على االستعارات والزخارف اللفظية ألخرى؛ وأخيرًا، يورد لونجينيوس رخامة ألسلوب ورفعته مصدرًا ّ ، ويمتد هذا من تراصف الكلمات وترتيبها للسمو ّ على المميز إلى بنية العمل الواسعة، حيث يصر المفهوم المؤسس بدقة للوحدة العضوية، مع أنه يحتل مرتبة أدنى كثيرًا في سلم أولوياته مما هو عند أرسطو.26 على أية حال، يتركز رأي لونجين، في أن ما يهم َ مة والملهمة، ويمكن في ألدب هو لحظاته المله ُنسى أن يجد الكثيرون في مقاطع كتابه التي ال ت حقًا، جاذبية)ليس أقل عندما يرتبط رأيه مع الرأي َ يروق للبشر ألنهم يمتلكون القائل بأن السمو ً متطلعة طبيعيًا(. وتكمن المشكلة بالطبع عقوال في كيفية بلوغ إجماع حول السمو وكينونته. من أجل ذلك كله، يحاول لونجين الدفاع عن تأكيداته بإشارات ذكية إلى أمثلة عديدة، لكنه لم يتوصل إلى صيغة مثبتة موضوعيًا ومقبولة عمومًا، كما لم ٌ غيره لذلك منذ زمانه حتى آلن.
ويمكن يتوصل أحد أن نقول هنا إن الحماسة الصرفة لكتاب »في السمو »مقترنة باستجاباتها الحساسة لذلك التنوع الواسع من النصوص ألدبية، تؤثر في كل ناحية من تاريخ النقد، بالقدر الذي تؤثر في مقدمته النظرية .وخالصة القول، إن غاية ألدب عند لونجين، أن ً ، وواجب الناقد أن يبين يكون محركًا مثيرًا رافعًا ناقال كيف يمكن أن يتحقق ذلك، وذلك بإظهار العناصر التي يمكن أن تؤدي إلى هذه الغاية على أفضل وجه .إن أفالطون، كما اتضح من »أليون« و«الجمهورية«، ال َاء في حجج لونجين، فهي ن َ يمكن أن يجد أية قوة أو غ في نظره مجانبة للصواب. أما أرسطو فقد يروقه بعض الشيء تحليل لونجين لبعض المقطوعات، ّ ن كيف تخلق بعض ألساليب تأثيرات معينة .ُ بي لي ّ ها قضايا بالغية من نوع ما، ولكنه قد يحار ولعله عد في المقدمات المنطقية التي طرحها لونجين، ويرى أن أسئلته وأجوبته لم تكن صائبة .ولعل الموقف الكالسيكي منه يعود إلى حقيقة َ االختالف عن َ لونجين »أثار مسائل تختلف كل أن تلك التي أثارها كل من أفالطون وأرسطوطاليس«.27 وقد توصل أحد الدارسين إلى طبيعة هذا االختالف الـذي يكمن في التفكير النقدي الرومانتيكي المبكر حين أطلق عليه صفة »أول رومانتيكي في التاريخ«.28 فقد كان أول من أكد العبقرية والبيت الشعري الذي يلهب حماسة المستمع وينقله إلى عوالم بعيدة، وهذه الحماسة أو النشوة هي عينها التي ال تأخذ بالعقل، وتهمل دور القواعد واألصول، ألنه انفعال خالص ال يشوبه أي عائق فكري. كما أنه ليس صحيحًا أن الرومانتيكية أهملت شخصية لونجين وأفكاره النقدية كما يدعي أحد الباحثين« :ومن سخرية ألقدار أن الثورة الرومانتيكية في ألدب التي قامت ضد مبادئ الكالسيكية المحدثة في دعواها لتغليب العقل على اإلبداع واهتمامها بالصنعة على حساب الطبع، لم تجد في لونجين مصدر إلهام«.29 ومن المعروف أن لونجين قد تمتع بشعبية يمكن إدراكها بوضوح في مستهل عصر الرومانتيكية. وقد كان وليم وردزورث)1770-1850 (ٍّ بعيد.30 إن على سبيل المثال، مهتمًا به إلى حد دراسة أفكار الشعراء والنقاد الرومانتيكيين ألوائل ٍ مع ما قدمه لونجين من فكر نقدي شكل »أول نظرية ٍ في ألدب31 ٍ تحتاج إلى

دراسةٍ مستفيضة ومستقلة. لقد تعرض لونجين لعسف نقدي اختزلِ ذات شأن من عبقريته عبر نظرة أحادية الفهم، شكلت جزءًا من عقلية العصر ومزاجه الذي عاشوا فيه من دون أن يتمكنوا من االلتفات إلى نواحي التفرد والتميز لديه، التي سبقهم إليها بقرون عديدة (Endnotes(.ً 11 . تتوفر بالعربية حسب اطالعي ترجمة واحدة عن االنكليزية لكتاب »في السمو« ظهرت أصال ضمن مجموعة أعمال نقدية لمارك شرودر وآخرين في ثالثة أجزاء، ترجمتها إلى العربية هيفاء هاشم وراجعتها د. نجاح العطار تحت عنوان، »النقد: أسس النقد االدبي الحديث«. صدرت الترجمة مرتين عن وزارة الثقافة بدمشق، االولى عام 1967 ،والثانية عام . 2005يذكر د. عدنان خالد عبد الله ترجمة لمقاطع من الكتاب قام بها محمد حمدي إبراهيم تحت عنوان «لونجينوس: عن االسلوب السامي الرفيع« في، أوراق كالسيكية، العدد الرابع، 1995 ،ص 317؛ انظر كتابه، لونجين والجرجاني: دراسة تاريخية نقدية مقارنة (العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000 ،)ص، 120 . 2 .انظر، د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص، 64 . 3 .المرجع السابق، ص، 120 . 4 . المرجع السابق، ص، 9 . 5 .ديفد ديتشس، منهاج النقد االدبي: بين النظرية والتطبيق، ترجمة د. محمد يوسف نجم ومراجعة د. إحسان عباس)بيروت: دار صادر، 1967 ، (ص، 82 . 6 .ريتشارد داتون، مدخل لدراسة النقد االدبي االنكليزي، ترجمه وقدم له د. فؤاد عبد المطلب (حمص: دار التوحيدي، 2007 ،)ص، 49 . 7 .انظر، د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني: دراسة تاريخية نقدية مقارنة، ص، 9 . انظر أيضًا، ديفيد ديتشس، منهاج النقد االدبي :بين النظرية والتطبيق، ترجمة د. محمد يوسف نجم ومراجعة د. إحسان عباس، المعطيات السابقة، ص، . 8 .84انظر، د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص، 10 . . 9من أجل التفاصيل، انظر، الفصل الثاني من كتاب د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص، . 10 .80-63انظر، جوزيف ت. شو "التداين والدراسات االدبية المقارنة" في كتاب، االدب المقارن: المنهج والمنظور، تحرير نيوتن ب. ستالكنخت وهورست فرنز، ترجمة د. فؤاد عبد المطلب)حمص: دار التوحيدي، 2007 ،)ص، 91-92 .ً د. عدنان خالد عبد الله أن . 11يعتقد مثال الزباء وزنوبيا هما شخصية واحدة ويحاول التوفيق بين أخبارهما، انظر كتابه، لونجين والجرجاني، ص، 40 – 30 .ويعكس مثل هذا االعتقاد نقص معلومات تاريخية متوارث لدى بعض مؤرخينا ومثقفينا؛ بحيث تؤكد بعض الشواهد االثرية واالدبية وجود ملكتين عربيتين من أسرتين عربيتين أصيلتين االولى "زينب" والثانية "نابلة أو نايلة" بدون همزة. وقد أشار إلى هذا الجهل التاريخي أكثر من باحث انظر، على سبيل المثال، سعد زغلول الكواكبي، "زنوبيا والزباء"، المعرفة، دمشق – وزارة الثقافة، العدد 520 ، كانون الثاني 2007 ،ص، 228 – 252 .ُ جري د. عدنان خالد عبد الله دراسة مقارنة . 12ي مفيدة ناجحة بين كتابي لونجين "في السمو" وكتاب الجرجاني "الوساطة بين المتنبي وخصومه" في كتابه االنف الذكر .ً ، يكتب ريتشارد داتون: "لم يكن . 13مثال لونجينوس ناقدًا مؤثرًا بمستوى النقاد الثالثة االخرين الذين درسناهم من المرحلة الكالسيكية(."يقصد أفالطون وارسطو وهوراس(. انظركتابه، مقدمة لدراسة النقد االدبي االنكليزي، ترجمه وقدم له د. فؤاد عبد المطلب، المعطيات السابقة، ص، 53 . 14 . انظر، د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص، 79 . 15 .انظر، المرجع السابق، ص، 79 – 80 .وانظر، جي. م. أ. غروب، "مالحظات حول السمو"، مجلة فقه اللغة االمريكية، العدد 78(1957 ،)ص، 355 – 740(. باالنكليزية . 16)ديفيد ديتشس، مناهج النقد االدبي: بين النظرية والتطبيق، ترجمة د. محمد يوسف نجم ومراجعة د. إحسان عباس، ص، 10 . 17 .انظر، على سبيل المثال، أرسطو وهوراس ولونجينيوس، النقد االدبي الكالسيكي)لندن: كتب بنغوين، 1981 ،ص، 1(.)باالنكليزية . 18)انظرن د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص، 66؛ وانظر، د. عدنان البني وخالد االسعد، تدمر أثريًا وتاريخيًا وسياحيًا، ط4 ،2003 ، ص، 31 .وانظر، د. عدنان البني،

تدمر والتدمريون (دمشق: وزارة الثقافة، 1978)ص، 78 . 19 .المرجع السابق، ص، 67 20 .يمكن العودة إلى عدد من المصادر حول الفلسفة ألفالطونية المحدثة مثل كتاب: عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني)القاهرة :دار النهضة المصرية، 1975 ،)وأميرة حلمي مطر، دراسات في الفلسفة اليونانية)القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1980)؛ وغسان خالد، أفلوطين رائد الوحدانية)بيروت: منشورات عويدات، 1983)؛ ود .مصطفى النشاز، "أفلوطين فيلسوفًا مصريًا"، في كتابه نحو تاريخ جديد للفلسفة القديمة، الكتاب ألول، القاهرة: وكالة زوم برس . 21 .انظر، د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص 123؛ وعرفان شهيد، روما والعرب :مقدمة لدراسة بيزنطة والعرب)واشنطن: دامبارتن أوكس، 1984)ص، 154(باالنكليزية(؛ وريتشارد ستونمان، تدمر وإمراطوريتها)آن آربر: منشورات جامعة ميتشغن، 1993 ،)ص 132(باالنكليزية . 22)لمزيد من التفاصيل، انظر، ريشارد داتون، مدخل لدراسة النقد ألدبي إلنكليزي، ترجمه وقدم له د. فؤاد عبد المطلب، ص، 28-35 . 23 . اقتبسه د. عدنان خالد عبد الله في كتابه، لونجين والجرجاني، ص، 114 . 24 .أرسطو وهوراس ولونجين، النقد ألدبي الكالسيكي، المعطيات السابقة، ص، 100(. باالنكليزية . 25)المرجع السابق، ص، 107(.باالنكليزية . 26)انظر، المرجع السابق، ص، 108؛ وانظر، أيضًا، ريتشارد داتون، مدخل لدراسة النقد ألدبي إلنكليزي، ترجمه وقدم له د. فؤاد عبد المطلب، ص . 27 .53 – 52ديفيد ديتشس، منهاج النقد ألدبي: بين النظرية والتطبيق، ترجمة د. محمد يوسف نجم ومراجعة د. إحسان عباس، ص، 82 . 28 .ر. أ. سكوت – جيمز، "أول ناقد رومانتيكي "في كتاب، صناعة ألدب)لندن: 1936 ،)ص، 80-94(. باالنكليزية . 29)د. عدنان خالد عبد الله، لونجين والجرجاني، ص، 117 . 30 .انظر، ريتشارد داتون، مقدمة لدراسة النقد ألدبي إلنكليزي، ترجمه وقدم له د. فؤاد عبد المطلب، ص، 53 . . 31ديفيد ديتشس، منهاج النقد ألدبي: بين النظرية والتطبيق، ترجمة د. محمد يوسف نجم